

كورونا مايسين

يوميات مريضة كورونا متمردة تشعر بالسعادة!

كوروناميسين
لنا مهدي

ISBN 9789773120245

© Willows House 2021

الطبعة الأولى: 2021 منشورات ويلوز - جوبا

جميع حقوق النشر محفوظة للناشر، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة، إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله، بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين أو الاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

All copyrights are reserved to the publisher, and no person, institution or entity has the right to reissue this book, or part of it, or transfer it, in any form or medium of information transmission, whether electronic or mechanical, including copying, recording or storing it, without written permission from the publisher

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر



Willows House
منشورات
ويلوز هاوس



جنوب السودان، جوبا، كاتور، مربع 8 جوار مركز جبران

www.willowshouse.net
www.jubabok.com
gatawillow@gmail.com
willowshouse3@gmail.com
+21 1927302302

يوميات*
لنا مهدي
كورونا مايسين

يوميات مريضة كورونا متمردة تشعر بالسعادة

تقديم دكتور بشرى الفاضل :

تعرضت الصحفية الإعلامية المطبوعة (لنا مهدي) للإصابة بفيروس كورونا وكان يمكن لهذه الواقعة أن تكون خبراً صحفياً يمرُّ عليه القراء وعارفو فضلها بتعاطف متمنين لها عاجل الشفاء، لكن الجائحة الكونية حين أصابتها أظهرت جانباً خفياً في شخصية (لنا) تمثل في الشجاعة والجلد. وقدمت (لنا) لنا سياحة في النفس البشرية، ربما هي من الكتابات النثرية النادرة ليس في بلدنا فحسب بل على نطاق شتى البلدان في مواجهة هذا الفيروس الخفي الماكر الذي لاتراه العين واحتمالات مآلات المصابين به التي قد تكون غير محمودة العواقب. كثيرون أفردوا كتباً عن مجاباتهم لشتى الأمراض لكن قلة دون شك هم من كتبوا عن معركتهم مع كوفيد ١٩ ذلك أن الداء على الرغم من اجتياحه لبلدان كوكب الأرض قاطبة، ظل حديث عهد بطرائق مكافحته واختبارات التطعيم درءاً له، فضلاً عن عدم التوصل في المختبرات المتسابقة عالمياً لعقار يشفي منه. بيد أن لنا وجدت علاجاً لكورونا المتربصة بالأنفاس تمثل في قبولها بأسوأ الاحتمالات، وهو الرحيل وانطلقت من هناك من تلك النقطة العدمية التي تذكرت فيها قصيدة أمل دنقل في الغرفة رقم ٨ حين كان يرقد مستشفياً من

السرطان الذي أودى بحياته للأسف وفقدنا جراء ذلك شاعراً كبيراً. تذكّر لنا وإيرادها لتلك القصيدة ينبؤنا عن أنها مدرّكة لشتى احتمالات الفيروس الذي هي مصابة به، فهي إعلامية ومطلّعة على أخبار وأرقام أعداد المصابين به في شتى بلدان العالم ونشرت أخباراً عنه فيما تقوم به من عمل صحفي إعلامي. ربطت (لنا) بين ما جرى لها من قبل من تجارب مريرة مثل فقدها لتوأمين. وبينها وبين نفسها قامت بمونولوج داخلي شيق صعوداً وهبوطاً كلما ضاقت أنفاسها أو استقرت حالتها قليلاً. وسيطالع القراء كل ذلك وربما سيتعجب من وصف حالتها بالسعادة. حسنا فعلت لنا مهدي حين أخفت الإصابة بكورونا عن أهلها في البداية إذ أنّ جزعهم ربما لايفيدها بينما يقلقهم. لقد غيرت كورونا حياة لنا بعد الخروج من الأزمة وحين صاحت الممرضة في أحد المشافي فرحة قبالة لنا مباشرة لها: النتيجة نيفاتيف يا مدام لم تجد لنا غير أن تقول -أحبك يا دنيا. تقصد الحياة وتتمنى لنا دنياوات في عالم الكتابة الإبداعية وأن يكون هذا الكتاب المفروض عليها فاتحة لكتب اختيارية عديدة. بهذا أدعو القراء الكرام للتوغل في هذه السياحة في المواجهة لجائحة كورونا من الداخل.

بشرى الفاضل

تورنتو، كندا.

٣يناير ٢٠٢٢م

مقدمة

أصابني كورونا، ذاك الفيروس الشقي أخطبوطي القوام، وأنا في أتعس لحظات حياتي. توالى عليَّ الابتلاءات والأحزان والخذلان، كنت أقاتل في اتجاهات عدَّة، وكنت في غنى تام عمَّا يقتلني من الداخل أو أن يهزمي جسديًا.

قبل إصابتي بكورونا كنت أحس أنني كـ«سيزيف» تمامًا، ولكن تُرى عذاب الصخرة جيئةً وذهابًا تحول لديَّ إلى حالة يومية لعذاب نفسي حدَّ المتعة؟

خواء ووحشة وحزن، تمتصه نفسي كقطعة إسفنجية عابثة، أتظاهر باللامبالاة وبالقوة، ولكن الجرح كل مرة يغريني باجترار الذُّكرى الممضتة، على الرغم من إنهم قالوا: (عميق الجرح يُغري بالتناسي). أحس أنني درويش بجُبة ملونة يدور ويدور ولا يلوي على شيء. أصبحت كائنًا لا يكف عن التظاهر بالمقدرة على الثبات على سطح مرتجج، وأنا دواخلي تتآكل كقطعة ثلج داعبها شعاع شمس مُعْرِيد، كنت وحيدة

وهيئةً جدًّا من الداخل لا كما يعرفني الآخرون. أُمِّي تقول لي باستمرار إن الدموع أمام الآخرين عَوْرَةٌ، ولكن الدموع أمام النفس تطهير لها.

كنت أودُّ أن أكفَّ عن أن أكون ما أنا عليه الآن، أودُّ أن أكفَّ عن أن أكون اثنتين في واحدة. أحس أنني في نفق معتم لا نهاية له تسير فيه نفسان يضمهما شخص واحد،

كنت في حاجة إلى من يفهمني في دنيائي العجيبة هذه، كم تمنيت لو أراه قبالي، وأضع وجهي على كتفه وأبكي.

في ظل هذه الزلزال أصبت بكورونا، ولكنها إرادة الله.

تُرى كيف كان الزلزال داخلي؟

كيف اختلط الخيال بالواقع والواقع بالخيال في لحظات صحو الحقيقة المتقطعة وصفوها؟

لنا مهدي

ضيف غير مرغوب فيه!

يوميات مريضة كورونا تشعر بالسعادة (1)

رنات جرس الباب فجراً، هُرِعْتُ البنت التي تساعدني وأساعدتها في إدارة المنزل لفتح الباب واستيقظتُ مهرولة وراءها، نظرت من العين السحرية وقالت لي بلهجة أهلنا الجارة إثيوبيا المختلطة بالعربي:

- ماما أفتح الباب؟

قلت لها: دقيقة.

نظرت من العين السحرية فوجدت كائنات فضائية، حُيِّلَ إليَّ أنني أشاهد فيلمًا عن غزو الفضاء. عرفت من يلبسون البدلة الواقية والخوذة الواقية من خط الدفاع الأول، الجيش الأبيض وفتحت الباب وعرفت مباشرة نتيجة الفحص، ما داموا قد أتوني في المنزل (بي حشادهم ورشادهم) كما تقول حبوتي، فذلك يعني أن نتيجة الفحص إيجابية.

فتحت الباب وابتسمت لهم على الرغم من قلبي المنخلع
وملايين الأفكار التي تزاхمت ساعتئذ. وقالت لي طيبة
لطيفة كلمات مشجعة، فقلت لها:

- الكورونا في نظري نزلة برد عادية، أنظر إليها من منظار
معظم للصورة فأراها كورونا، فلا تقلقي.

قالت لي:

- إنني عند الفحص الأول كان ضغطي مرتفعًا ويودون التأكد
من كل ما يتعلق بي.

الضغط مرتفع، لا سعال، ارتفاع طفيف في درجة الحرارة
لدرجة لم ألاحظها، لا صداع، لا ضيق في التنفس. المنزل
مؤهل لأعزل نفسي فيه بعد الرجوع من المستشفى.

أخذوا عينه للتي تساعدني وأساعدها، اتضح بعد يومين أنها
بخير لم تصب الحمد لله، ولو كانت أصيبت لكان حزني
عظيمًا كحبي لها من فرط طيبتها وتعاونها.

المهم أخذوني بمنتهى السرعة للمستشفى، رفضوا أن آخذ
معي حتى هاتفي واستبدلوا ملابسني بملابس الكائنات
الفضائية، حتى لا أتسبب بالضرر للآخرين. تذكرت لحظتها
رسمًا بالكارتون للإنسان الأول وهو يجر خليلته من شعرها
أرضًا، أحسست أنني أساق من شعري، أبهجتني المقارنة
على الرغم من أن الكاريكاتير كان في الماضي يثير حفيظتي.

وصلنا إلى المستشفى وتحولت عيناى إلى كاميرا حساسة أراقب كل شيء، التجهيزات والمعدات والجاهزية وعنابر العزل، إلخ، هي تجربة لن أعيشها ثانية وفرصة مهمة دخلت عبرها عالمًا غير متوقع، فلأنتهزها إلى النهاية.

قاسوا الضغط والحرارة وأجروا الفحوصات ووظائف الرئة وأشعة لها. وجدوا قليلًا من الماء حول الرئة فاستبقوني بالمستشفى.

مكثت معهم حتى مساء اليوم الثاني، وفي المستشفى عرفت أنهم يوفرون طبيبًا نفسيًا لمرضى الكورونا يقدم الدعم النفسي.

سألني الطبيب:

- هل تحلمين بكوايس؟

قلت له:

- أحلم وأنا صاحبة. وسأحقق أحلامي بعد الشفاء.

وقلت له ضاحكة:

- كورونا آخر إحصائية الـ ٢٤ ساعة الماضية تسلمتها ضمن التقارير التي ترسلها وزارة الصحة إلى رؤساء التحرير، كان المصابون ٧٣٤ والشفاء ٣٩٠، والذين توفاهم الله ٣. يعني يا دكتور من الممكن أن يكون حظي «منيّل ومهيب» لدرجة أن

أكون ضمن الثلاثة التكلوا، وقراري حاشفى.

عاودني الطيب صباح اليوم الثاني وكنت تعرّضت لضيق تنفس طفيف فجراً. تحدثت معه حول الدعم النفسي لحالات كورونا، وسألته كيف يتعامل مع كل درجة من درجات الإصابة وهل الإعلام أدى دوراً أقل من المطلوب في دوره ورسائله التوعوية ما تسبب بارتفاع حالات الإصابة آخر أسبوع أم إن الوعي المجتمعي كان قليلاً؟ وهل تقي الكمادات من الإصابة؟

قال لي إن الإعلام ضخم موضوع كورونا وركّز على أنه مرض مميت أكثر من تركيزه على أنه مرض يمكن الوقاية منه في كثير من الحالات. وقال لي إن نسبة من يصابون بالكورونا على الرغم من تقيدهم بالاحترازمات الوقائية والتباعد الجسدي ٣٪. وإن ارتداء شخصين الكمادات احتمال إصابتهم بكورونا ٤٪. ولو أن شخصاً ارتدى كمامة، والآخر تجاهل لبسها، فنسبة إصابة مرتدي الكمامة ١١٪.

يعني الكمامة لا تقي بنسبة ١٠٠٪، إلا إذا التزم الناس بالبقاء في منازلهم.

قلت للطبيب النفسي:

- لاحظت من الممرضات عطفاً أكثر من الطبيعي على مرضى الكورونا، وهذا يحسّسهم بأنهم مودّعون. في حين يجب التعاطف معهم في الإطار الطبيعي. العطف المتزايد

في أحيان كثيرة يسبب هشاشة نفسية حتى للذين أمراضهم
غير خطيرة كالكورونا.

وافقني الطبيب ووعد بأخذ ملاحظتي مأخذ الجد.

الطبيب سألني بغتة:

- أنتِ ظاهرياً شديدة التماسك، فماذا عن داخلك؟

قلت له:

- قلقة نوعاً ما، لستُ خائفة على الإطلاق، بطبعي لا أعرف
الخوف. «شافعنا بيرى الموت في الرقاب سُنَّة»، وشرحت له
معنى الكلام العامي فضحك ملياً. ونظر إليّ وقال بلهجته
المصرية:

- أنتِ حتبقي زي الفل، أنا متأكد.

فقلت له:

- وأنا كمان متأكدة، شوف ليك شغلة غيري.

فخرج وهو يضحك بأعلى صوته.

قلت لنفسي: «حيقول الولية دي مجنونة».

ما بين ألم فقد التوأم وألم الكورونا

يوميات مريضة كورونا تشعر بالسعادة (٢)

ما بين ألم فقد التوأم وألم الكورونا قاسم مشترك؛
الوحدة.

لم أقو وقتها على إخبار أهلي، ليس بفقد التوأم، ولكن لما عرّضت له من خطر محيق بعدها، ألم الجراح، إلى جانب ألم نفسي لفقد فلذاتي، تحملته مضاعفًا، وألم جراح الروح وكسرة خاطر ومرارة ليس لها مثيل، وصراع في كل اتجاه. وانتهى الأمر بالعناية المركزة. تجربة مت فيها وحييت عدة مرات نفسيًا وجسديًا، عندما ارتفعت البولينا واضطربت وظائف الكلى، وكنت على مشارف فشل كلوي. وغيبوبتا سكر داهمتاني في خلال أربع وعشرين ساعة. تواصل سيل الذكريات المرة. بعدها الطبيب أخبرني بخطة علاج نسبة نجاحها ٥٢٪، ولو وافقت فعليًا توقيع أوراق بتحمل المسؤولية كاملة. الطبيب عندما أحضر لي الورق قال لي إن حدث فشل كلوي فستغسل الكلى، وقد تزرعين أخرى، لكن الدواء إن نجح فستشفيين بسرعة، وإن فشل فسيحدث

انهيار كامل في وظائف الأعضاء كافة في جسمك إضافة إلى فشل عضلة القلب.

قلت له:

- سأوقِّع.

الطبيب أثناني ثلاث مرات وقال لي:

- لم يحدث أن غامرت مريضة في مستشفىنا بالتوقيع.

قلت له:

- سأوقع، احتمال الشفاء أكبر، وسأشفي.

وقلت له:

- نحن في السودان لا نموت على أسرتنا.

وقلت لنفسي ساخرة:

- «سجم خشمك بعد حسن ظن الناس بيك وإنهم باستمرار يبدوك أكثر من حقك، تموتي في السرير يا هوانة؟».

تواصلت ذكرياتي وأنا أعقد مقارنة بين مشارب الألم الشتى التي داهمتني في عامي غير الأبيض ذاك! لم أذق طعم النوم بعدها ولا الراحة، بعد أخذ العلاج، لساعات مت فعلياً ثم حييت بسرعة. وكانت صلتي بالعالم الخارجي

رفيقي ورفيقتي الأشد خوفًا عليَّ من نفسي بعد أن أقنعت الممرضة أن تترك لي الهاتف، وتخطبت معهما أكثر من مرة وعندما أقوى على الكلام أسجل لهما، وكانت تريني رسائل الأهل أمي وأبي وإخوتي، وكنت أشير إليها على الحروف لتطبع. لم أود أن أزيد عذابهم أيام الحظر في أوج كورونا وهم لا يستطيعون الوصول إليَّ، وابني وحده في المنزل مع المساعدة شديدة الطيبة والحنان.

هنا، وأنا مصابة كورونا أيضًا، قررت عدم إخبار والديَّ أو إخوتي، كلهم أقوياء جدًّا، إلا لو مسَّنا شيء. أنا كبيرة البيت، لكنهم كلهم يعاملونني برأفة وحنان وحب ورعاية كأنني حتالتهم، أول فرحة أبي وأمي كما يقولان بعد أن فقدنا طفلًا في شهره الأول. هيثم، أخي الكبير، طالما تمنيت لو كان موجودًا. ربما كان سيمسح عني ألم الدنيا وجراحات معاركها دون منٍّ ولا أذى، ولربما استطعت أن أفتح مجرى عيوني لتسح دموعًا أجيد حبسها على صدره، فقد تعودت أن أقارع دمعتي بالصنقيع، ولا أريها لمخلوق،

أول يوم لي في المستشفى متوجَّهة مريضةً كورونا لها شنة ورنه، وأنا وحدي معلقة على أذرعِي وأرجلي أجهزة قررت تسلية نفسي، عندما تأتي ممرضة من الباب عندي أحسب خطواتها وأنا بصري شاخص إلى أعلى، في حين أنني مثبتة على سريرِي. من عدد الخطوات وصوت وقعها أتوقع؛ هذه ممرضة طويلة، هذه قصيرة، هذه متوسطة الطول. أغمض

عينيَّ وأتخيل ورقة فلوسكاب - مطبقة بالطول - وأتخيل قلمًا
أحمرَ يكتب عنوانًا؛ قائمة أحلامي، ثم أسرح بخيالي وأكتب
بعنان التفكير بقلم حبر أزرق الأحلام التكتيكية سبتمبر -
ديسمبر ٢٠٢٠.

بعدها يمسك خيالي بقلم حبر أخضر وأكتب في منتصف
سطر جديد بخط عريض:

أحلامي التي سأحقق في ٢٠٢١

وبسخرية أفكر: أها، إن قمتِ مُتِّ؟

وأضحك عندما أتذكر قول شقيقتي:

- نحن عائلة نساؤنا معمرات بسرعة بنكّتل الرجال ونعيش
بعدهم لعقود.

وحتى إن لم نكن عائلة نساؤنا معمرات، فسأهزم كورونا
وأحيا وأحقق أحلامي.

نفسيات ... احتمالات الموت والرغبة في الحياة يوميات مريضة كورونا تشعر بالسعادة (٣)

العامل النفسي مهم في كل استشفاء وخاصة مرضى الكورونا.
جهاز المناعة يتأثر بالحالة النفسية ولا بدّ أن تكون معنوياتي
«على سنجة عشرة» كما قال لي الطبيب.
«ما توصي حريص يا دوك»
قلتها له وأنا أبتسم من الأضغان إلى الأضغان.
متماسكة أنا؛ نعم، ولكنني إنسانة، ينتابني جميع شعور
البشر الطبيعي ما عدا الخوف.
أبي باستمرار يقول:
- «بتي الكبيرة دي لما قسّموا الخوف على الناس كانت
مسجلة غياب».

ثم يضحك ضحكته المجلجلة وتلمع عيناه بفخر، وطالما وضعت تلك اللمعة المحببة نصب عيني وأنا أقاتل في هذه الحياة.

بينما أهدق إلى سقف غرفة المستشفى، أفكر فيه، بيني وبين والدي رباط روحي. يشعر بي ولو لم أنطق بحرف. بنظرة ينفذ إلى دواخلي ويكشف المخبوء الذي يدسه الـMask face الذي أضعه خشية أن يشعر من حولي بمكنونات نفسي، فينتقل إليهم قلقي أو حزني أو أي شعور سلمي أحاول تجنّب من أمامي وطأته.

أبي ليس طبيياً في مواجهة أبنائه، بل والد شديد الحنان مفرط الطيبة والقلق والمحبة، أفكر فيه لو علم بإصابتي، وبين الاحتياج إلى دعمه وأسرتي، وخشيتي عليهم أقول لنفسي حسناً فعلتِ بعدم إخباره، عليك تحمل غضبته المُصْرِية بعد أن تُشفي يا فالحة!

بعد أن تُشفي؟!

تردد العبارة في أذني وترن كقطعة نقود معدنية ألقت بها يد صبي عابث على أرضية مصقولة. أمرها على لسان أفكاري، أستمتع بها كمكعب سكر يذوب ببطء في فم التحدي، (نعم، سأشفي). أكررها لنفسي، سأشفي على الرغم من خطورة الوضع الصحي. الطبيب النفسي المتوفّر لكل مرضى الكورونا باختلاف حالاتهم الصحية يخبرك باحتمالات

الشفاء، ومدة الإصابة، وما يعتريك من ألم نفسي وجسدي مبرح، واحتمالات الوفاة، والاستعداد للمرحلة وأنتك مسلح بكل ما تملك من إرادة ومقدرة على الصراع.

الموت محتمل، ولكن من يسمح له بأن يقترب مني؟!

الموت حق وقدر، ولا أحد يدري متى وأين يموت، لكن في وسعي أن أفكر كيف سأعيش بعد أن أنجو من الموت بكورونا.

بينما أغمض عيني يمر أمامي شريط حياتي كبكرة سينما تدور. مرة ثانية أطبّق ورقة فلوسكاب طولياً في مخيلتي، ثم أكتب بقلم أحمر وهمي على اليمين (النجاحات). وقبلها أكتب (الخيالات). ثم أسترجع حياتي منذ أصبحت راشدة عاقلة مكلفة، أحسست بغبطة وتتراص في ذهني على ورقة الفلوسكاب الوهمية قائمة النجاحات متفوقة على قائمة الخيالات.

«والله برافو يا بت».

أقولها لنفسي ساخرةً مُزيحةً القلق جانباً.

أتذكر قصيدة «أمل دنقل» في (أوراق الغرفة رقم ٨) حين كان يصارع السرطان:

في عُرفِ العمليات

كان نِقَابُ الأطبَاءِ أبيضَ
لونُ المعاطِفِ أبيض
تأجُّ الحكيمَاتِ أبيضَ، أريدُ الرَاهِبَاتِ
الملاءُ
لونُ الأسرَّةِ، أربطُهُ الشاشِ والقُطنِ
قرصُ المنوِّمِ، أنبوهُ المَصَلِ
كوبُ اللَّبنِ
كُلُّ هذا يُشيعُ بِقَلْبِي الوَهْنَ.
كُلُّ هذا البياضِ يذكِّرني بالكَفْنِ!
فلماذا إذا مَتُّ، يأتي المعزونَ مُتَّشِحِينَ،
بشاراتِ لونِ الجِدادِ؟
هل لأنَّ السوادَ،
هو لونُ النجاةِ من الموتِ؟
لونُ التميمةِ ضدَّ الزمنِّ؟

أشعر بغصّة، أترى تذكّري تلك الأبيات نذير شوّم؟ في حياتي لم ألقِ بالآ لقصة التشاوّم والتفاؤل بشيء أو بشخص، باستمرار كنت شديدة التفاؤل، لدرجة أن أُمّي كانت تقول لي «حقو كنتا أسمىكِ تفاؤل». تذكّرت أنني بعد عملية جراحية في الماضي استدعيت كلمات دنقل ولم أمت بعدها. وأصلاً مقررة ألا أموت بالكورونا. تبددت الغصّة وابتسمت من الأضنان إلى الأضنان وقلت لنفسي «يا بت اللذين أنتِ قلقانة؟ بركة البتحي بالقلق. بقيتِ بني آدمة!».

ثم أضحك فتلفت إليّ الممرضة وفي عينيها تساؤل «دي مالها؟»، أتجاهل تساؤلها الصامت وأدير ظهري إلى القلق وأستعير كوب اللبن الدافئ من أبيات قصيدة الجنوبي أمل دنقل، ثم أستعير اسم الشاعر نفسه (أمل) وأملأ نفسي بالأمل. ثم أنام كطفلة راتقة البال.

على مشارف الموت

يوميات مريضة كورونا تشعر بالسعادة (٤)

كم أنا محظوظة!

على قيد الحياة أكتب ومنذ بضع ساعات كنت على شفا
حفرة من الموت!

كنتُ قد أصبت بنوبات من ضيق التنفس.

قررت أن أختبر قدرتي على التحمل قبل أن أرن الجرس
لتهرّع لي الممرضة.

أول نوبة مرت بسلام، نظرت إلى ساعة الحائط المثبتة قبالي
والتي كنت أتعمد ازدراءها لأن الحملقة إليها تجعل الزمن
وكأنه مقيد بسلاسل غليظة؛ لا تتحرك.

الساعة أنبأتني أن نوبة ضيق التنفس استمرت دقيقتين
وثلاثًا ثوانٍ.

قدرت مستوى ضيق التنفس:

خفيف.

أخذت أذندن:

أنت عارف أنا بحبك

وبحلف بك

ولا ماك عارف بالمرّة؟

قلتُ لنفسي: «ها الغبيانة، بيكون عارف. للعطر افتضاح».

ثم تذكرت أن الزمن الذي ألفت فيه القصيدة كان زمناً
يشعل الحبيب النار التي يضرمها من نيران قلبه أمام
بيت الحبيبة لتخرج ليراها ولو لثوانٍ، «ما زمن الحبيبات
متوفرات قدام المحبين زي الهم في القلب». ضحكت من
المقارنة والمقاربة.

ثم أخذت أذندن:

يا أنة المجروح

أنا أهدي ليك الحب

حب الشحيح للمال

حب الجبان للروح

وفكرت؛ كم أجاد الشاعر الوصف على الرغم من أن المشبه به بخيل وجبان، لكنه أحسن تصوير عظيم حبه. فكم يعشق الشحيح المال وكم يعشق الجبان الروح.

نوبة ضيق التنفس الثانية:

أحسست أن صدري ضيق حرج كأنما أصدَّ في السماء.

شلال من العرق يغمر كامل جسدي والالام المبرحة لم تفارقني.

اختلست نظرة إلى ساعة الحائط، استمرت النوبة أربع دقائق وكأنها أربع ساعات. رأيتي الممرضة ووضعت لي قناع التنفس.

بينما ينساب أكسجين الحياة لينعش جسدي المكدود أبتسم لنفسي وأفكر: كان صدري ضيقًا حرجًا كأنما أصدَّ في السماء. تشبيه قرآني للمشركين، أبو لهب وهلمَّ جراً، لماذا يقول أهلنا في لبب إنهم أقرباء النبي صلى الله عليه وسلم وينكرون حطب أبي لهب وحمالة الحطب؟

نوبة ضيق التنفس الثالثة:

بغثة انقطع الأكسجين كليّة عني، أحسست بأن روحي تسرّب من جسدي. قلت ربما هو الموت. فكرت: «حاسة لو جا عزرائيل أشوفه كيف بالغمامة الفي عيوني دي؟!»

حركت أقدامي، أشعر بهما. لا، ليس الموت. حبوة كانت تقول إن الروح تخرج من الأقدام أول ما تخرج من جسم الإنسان.

لم أستطع التنفس على الرغم من محاولاتي، وأحسست أنني على وشك الإغماء. قلت:

- «الرجالة تطير».

وضغطت الجرس بقوة وإلحاح، آخر ما تذكرته وجوه الممرضات القلقات وإحداهن تنادي الدكتور الذي يتابع حالتي. وأفقت ثانية، وجدت خراطيم ممتدة إلى جسми كله وكمامة على أنفي. أجابت الممرضة عن سؤال عيني الصامت؛ «ماذا حدث؟» نسبة أوكسجين الدم تراجعت فجأة لـ ٨٨، وظللت غائبة عن الوعي ست دقائق، وسأظُلُّ في قيودي حتى إشعار آخر!

بعد ساعة وربع الساعة، رجعت نسبة أوكسجين الدم طبيعية.

عندما زارني الطبيب قلت له:

- يا دكتور والحل؟ هل سأنتظر أسبوعًا لأكرر الفحص؟

قال لي:

- هل توافقين على العلاج ببلازما دم النقاهاة؟ تعطى

لمرضى كورونا فوق الـ٤٠ والذين يعانون أمراضًا مزمنة. وأنتِ ضغطك غير مستقر، لكن ليس لدرجة أخذ الحبوب مدى الحياة. لكننا هنا نتعامل مع الأمر وكأنك مريضة ضغط. إذا انطبقت عليك الشروط لتلقي العلاج بالبلازما، مزياتها أنها ستعجّل الشفاء إن نجحت التجربة معك، وإن لم تنجح فلن يحدث شيء سوى آلام مضاعفة حتى تشفي إن لم تحدث انتكاسة صحية.

قلت له:

- ولو حدثت الانتكاسة؟

فأجابني:

- ستعودين إلينا في المستشفى لوضعك على جهاز تنفس ومراقبة الرئة.

«والأسوأ؟»

تساءلت.

فأجابني بصمت مطبق.

لم يهمني في كلامه سوى عبارة «فوق الأربعين»، فكرت بمنتهى السخط و«بلوية بوز»: «الأربعين؟ الراجل دا ما عارف إن الملافظ سعد؟!».

فكرتُ في أن أكتب وصية، ليس من قبيل الخوف من الموت،

ولكن على المريض بمرض خطر أن يكتب وصية حتى لو كان شديد التفاؤل بالنجاة. «الخواتم يعملوا كدا، أها يا جاكين أوناسيس غايتو اليخت حقي بديهو لي صديقتي كادي وبكتب خطاب للبلولة. سأوصي ٠٠انو دود الوعر يعيش مع ناس أبوي، ومصدري بكتب ليهو وريقة أكرر اعتذاري له عن قلبي المغلق».

وافقت على العلاج ببلازما الدم ووقعت على التعهد المطلوب على أن أجري كمية من التحاليل وأظل بالمستشفى حتى المساء، وإن كانت الأمور طيبة، فسأعزل نفسي بالمنزل وأعود اليوم التالي إلى المستشفى لأحقن ببلازما دم النقاهاة المحتوية على أجسام مضادة مأخوذة من مرضى كورونا تعافوا. وإن أحسست بضيق تنفس اتصل بالإسعاف فوراً.

سألت الطبيب:

- عندنا في المنزل جهاز Nebulizer، فهل يغني في حالة ضيق التنفس؟

قال لي بحسم:

- اتصلي بالإسعاف عند الشعور بأدنى ضيق تنفس، وعد؟

قلت له:

- وعد.

أحس بآلام مبرحة وصداع ودوار. قررت أن تتناسب آلامي
طردياً مع معنوياتي. كلما زاد الألم ارتفعت المعنويات.

تعبيبتنا أنا، دموع المقاتلة

يوميات مريضة كورونا تشعر بالسعادة (٥)

بينما أنتظر نتيجة التحاليل التي بعدها سوف أخضع للعلاج ببلازما النقاهاة، مرت الساعات ببطء..

أحس بفراغ نفسي وضجر، نظرت إلى المرأة وقلت لنفسي: «حبوبة لو شافت التفة دي كانت سمعتك كلمتين في العضم».

ابتسمت وأنا أتذكر حبوبيت الراحلة تقول لي: «شعرك بشرك
الما عندو شعر ما عندو بشر».

كم كانت الدنيا بسيطة والبال خاليًا وقتها! تمنيت لو كانت أمامي لأضمها بقوة وأحتمي بكنف حنانها الدفاق.

حبوبيت أم الغالي، أبي.

إن شاء الله يسلم لي.

تذكرتها فوراً، هي ومقامها الدائم تحت ظل شجرة الفايكس
بجوار نبتة صنّب الكديس والفل والياسمين في بيتنا.

تذكرتها؟! وهل نسيتها؟ يا الله!

الساعات تمر بطيئة.

وأنا وحدي.

أعطيت المساعدة الفاضلة التي تتعاون في إدارة المنزل
إجازة. أحس أنني لست على ما يرام، آلام الجسد والقلق
يقلبان عليّ جروح روح اعتقدتها اندملت، منذ سنوات وأنا
أقاتل في عدة جبهات.

تعبيبتنا

وأتعبت نفسي

حملت الهاتف لأتصل بوالديّ أخبرهما، ضعفتُ وهلةً
وأحسست بالحمل الكبير عليّ وتركت الهاتف بسرعة،
سأخبرهما فيما بعد.

فلذة كبدي اشتقت إليه، لذكائه الوقاد وهو يحاورني.

اشتقت إلى ضمته لي وقوله: «ماما أنا طوالي جنبك، ماما أنا
بحبك».

اشتقت إلى رجلي الصغير وهو يحسن تغطيتي قبل أن أنام.

ويقول لي: «لو احتجتِ حاجة ناديني يا ماما ما تقومي».

وعندما يراني قلقة: «ماما مش قلتِ لي لو زعلان من شي
أتخيل أني برميهو في البحر الجنبنا دا وأتخيله يذوب في
البحر؟ يلا ارميهو!».

هو داعمي وسندي ورجلي الصغير!

تذكرنكم كلكم فردًا فردًا.

رفيقات ورفاق رحلة الروح وشقيقتي وأشقياتي من رحم
النضال والقضية والفكرة، صديقاتي ذكري في الدنيا.

هل سأراكنَّ؟

طافت بمخيلتي رحلتي الأخيرة للوطن ومقدار سعادتني وقتها.

كنت فراشة تطير على غير هدى.

فرحة بتراي وأرضي وسماي ونيلي ورفاقي وأهلي.

دفنتُ رأسي في الوسادة، انتحبتُ كما لم أفعل من قبل،
الدموع نعمة فلماذا كنتُ أكتمها في الماضي؟

كان بوسعي ألا أبكي شهورًا ولو مع نفسي، مهما كان عِظَم
الألم. انتحبتُ كما لم أفعل من قبل. شلال الدموع هَدًّا
روعي وغسل نفسي.

غسلت وجهي ومشطت شعري ووضعت عطري المحبب.
ابتسمتُ من الأضان إلى الأضان وأنا أردد: إذا لم يكن من
الموت بُدُّ، فمن العار أن تموت جباناً.
«هو ذا ااتو البيموت دا منو؟».

ضحكت وأنا أسائل نفسي بصوت عالٍ. اتصلت المستشفى،
سيرسلون من يحضُّرني لأرتدي بزة الكائنات الفضائية.
ليضمنوا ألا تنتقل العدوى إلى أحد.

وصلت إلى المستشفى وأخضعوني لبروتوكول العلاج ببلازما
دم النقاهاة. وتلك قصة أخرى.

قلت لنفسي: السعادة قرار، مهما كان الظلام حولي.

ثم ابتسمت

عذابات علاج البلازما والمصير

يوميات مريضة كورونا تشعر بالسعادة (٦)

رجعت إلى المستشفى، أخذت العلاج ببلازما دم النقاهاة المحتوي على أجسام مضادة للكورونا، قبلها خضعت لاختبارات وفحوصات.

الطبيب أبقاني بالمستشفى يومًا لاختبار رد فعل الجسم التحسسي للعلاج ومدى الاستجابة الأولية. وأخبرني بالآثار الجانبية المتوقعة؛ دوار، وإرهاق عام، وألم مضاعف عما قبل، وآلام الرأس والصداع.

وعند ضيق التنفس الشديد، فعليّ بالاتصال بالإسعاف، فهذا أخطر شيء، وتكراره علامة ليست طيبة.

عدت إلى المنزل ووضعت رقم الإسعاف في الـ (Favorites) في هاتفي كي أتصل فور إحساسي بأي سوء بسرعة دون حاجة إلى تضييع ثوانٍ ثمينة وفارقة في حياتي في البحث عن الرقم، فأنا وحدي، وحدي تمامًا.

أكتب كل أهلي في واتساب ويظنونني بخير. تحججت بتأجيل المدرسة ليبقى ابني عند جدوده، ومساعدتي الطيبة الحنون أعطيتها إجازة حتى اكتمال شفائي.

هذا إن شُفيت!

ما تَلاَ يوم أخذ العلاج كان جهنمَ بحق، فكما يقسّم العالم إلى ما قبل كورونا وما بعدها.

ما قبل كورونا كنا الحضارة التي أوشكت بعد اجتياح الوباء العالم أن تنقرض. أقسّم مرضي إلى ما قبل البلازما وما بعدها.

صداع مختلف، آلام لا تطاق.

جسمي مرات عدّة خلال اليوم، أحس بالروح تتسرب منه.

عندما «أشم طعم العافية» أتواصل على الواتساب وأهتم بالاطلاع على مستجدات الشأن العام، كما علّمنا وباء كوفيد ١٩، أننا كنا في نَعْم لم ندرکها إلا بعد أن اجتاح العالم.

نعمة الإنسانية، حرية التنقل، نعمة مقابلة من نحبهم، نعمة لَمّات الأهل والاجتماعيات، نعمة الهواء النقي في الشوارع. نعمة الأمن والأمان النفسي والصحي.

كذلك قسّم العلاج بالبلازما دورة حياة كورونا في جسمي إلى

ما قبله وما بعده.

أتخيل فيروس كورونا أمامي بأذرعته الكثيرة. هو أخبث من أخطبوط وله عيون كثيرة ترمق الفريسة قبل الانقضاض عليها بثبات وبراعة.

كم أنت بريء أيها الأخطبوط ذو العين الواحدة!

أتخيل كورونا أمامي يقترب من وجهي، أعبئ صدري بالهواء ثم أنفخ أمامي بقوة.

أتخيل كورونا يتراجع مدحورًا. ثم أتفكر في حالي.

أفضل الاحتمالات الشفاء، وأسوأ الاحتمالات الموت.

كنت جهزت وصيتي ووضعتها في مكان بارز، ومعها هواتف كل من يمكن الاتصال بهم لإبلاغهم؛ والداي، والد ابني، رفيقاتي، صديقاتي، رفاقي، التلفزيون.

ضحكت وأنا أفكر: «حاسة لو مُتِّي موتة محترمة كان ذاعوك في النشرة في السودان، وجو البكا مقامات سامية من الأهل وعتاولتهم. وكان بكوي النسوان الكبار من الأهل عمدات وأعمدة العائلة وشكوي بالفكي والما فيكي»

النسوان البركة الكنت في المناسبات مسؤولة عن راحتهم وباستمرار يوكلونني هذه المهمة لأني (بونسهم) أسمع قصصهن المكررة لعشرات المرات وكأني أسمعها أول مرة،

وصبورة عليهن، فلما أُجيب لي واحدة كباية شاي فيها إردب سكر تقول لك: «يا بتي أنا عندي سكري؟ الشاي مسيخ»، ولما أُجيب لحاجة كبيرة مريضة سكر الشاي مسيخ تصر وتقول لي: «يا بتي عايزة تكتليني؟ الشاي ملان سكر».

ولا أغالط أياً منهم، هنَّ على حق باستمرار.

كم أحب الناس الكبار! أحب خدمتهم وإرضاءهم ومساعدتهم، أحب وجوههم المتغضنة الممتلئة رضاء، وعروق أياديهم التي أقبلها كلما سنحت لي فرصة. تلك الأيادي المتعركة المعبقة بالتاريخ والشاهدة على تجارب ثرية ومختلفة.

أحب الناس الكبار، فهم خير وبركة المكان.

أيام مضت حتى وصلت إلى اليوم الفيصلي.

اليوم الأحد، رابع يوم من العلاج بالبلازما، أقسى يوم وفيه يتحدد مصيري.

وصيتي، مكان دفني

يوميات مريضة كورونا تشعر بالسعادة (*٧ ويمكن الأخيرة*)

ليس بالضرورة أنني سأموت حتمًا، ولكن احتمال الموت وارد.

في الدول المتحضرة باستمرار يكتب الناس وصية ويودعونها محاميهم الخاص.

هي تنظيم لأثر الإنسان الذي يتركه ما بعد مفارقة الحياة. لم أعد كتابتي وصيتي نذير شؤم، فأنا لا أوّمن بمثل هذه الخزعبلات.

وصيتي بسيطة للغاية وليست درامية على الإطلاق، أن أُدفن في السودان ليس في أحمد شرفي مقابر عائلتنا كابرًا عن كابر. أدفن في مقابر المسيحيين إرساءً لمبدأ التسامح الديني بعد تعقيم جثتي، يدفن معي مصحف وإنجيل وتوراة. أدفن في المقابر بجوار أحد أهلي من جنوب السودان - وحدة وطنية

حتى في الموت - تدفن معي قارورة صندلية وزهرة روز وردية
وفرع نيمة وجريد نخيل وقطعة طمي من شاطئ النيل،
وعقد القصيص الذي أرتديه وودعتين.

طالما أسررت في الماضي لمن هم قرييون مني: «إذا مت
فتبرّعوا بالأعضاء الحيوية». ولكن مع كورونا لن يتحقق
ذلك مع الأسف.

وكنت ساعتها أقول لهم مازحة:

- «أتلحس أنا ويستمتع آخرون بحياتهم على قفائي؟ حقو
أتداغل، يسممهم».

الوصية احتوت على ترتيبات لحياة صغيري ووحيدتي
اقتصاديًا ومكان إقامته.

تركتُ ثلاث رسائل في أظرف صغيرة مغلقة تسلم لأصحابها،
ومكتوب اسم كل منهم على كل ظرف.

أنا اليوم في رابع أيام أخذ العلاج بالبلازما وبعد ساعات
سيحدد مصيري.

أصعب يوم على الإطلاق، وقلق الانتظار رفاهية مقابل
الآلام التي لا تطاق.

ضيق تنفس اعتراني على أوقات مختلفة، ولكنه متوسط ولم
يحدثم إلا مرتين، ولكن عندما حسبت الوقت الذي انتهت

فيه النوبات وَفَق تعليمات الطبيب، النوبات لم تصل إلى حد الخطورة.

عندما يضيق التنفس أضرب بيدي الهواء وكأني أصارع شبحًا.

أمر غير محتمل، ينتابني إحساس أن الحياة تافهة.

دوار شبه دائم.

فقدان شهية تام.

حتى الماء طعمه علقم.

أجبر نفسي على الأكل والشرب وعدم التقيؤ.

أجبر نفسي على التحمل والجلد.

وأقول لنفسي: خلاص هانت، إما سأشفى وإما سأموت، وفي كلِّ راحة مما أنا فيه.

في حضرة «حمالة الحطب»

و «عجوز غابرين»

يوميات مريضة كورونا تشعر بالسعادة (٨)

أعيش أقى يوم (الله يعديه على خير).

رابع أيام العلاج ببلازما الدم.

آلام لا يحتملها بشر تصل إلى حد حافة الإغماء استمرت لساعات.

قبل ساعة «شممت العافية» قليلاً.

أفكر بسخرية في قول خالي الكبير رحمة الله عليه:

- «أمة محمد لازم تتشوشو حبة حتن يودوها الجنة».

وباعتباري دائماً لا أستبعد أسوأ الفروض وأتعامل مع الأمور كواقع «عشان لما يحصل الأفضل أفرح ولو حصل الأسوأ ما أحزن». قلت لنفسى:

- «يا جهنم أمانة ما جاك زول».

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٧) الحجر

ردت عليّ:

- «جدك هو السبب، بدليل جابو سيرتو قبلي في السورة، وأنا كزوجة مطيعة عايذة أوريهو إني سانداهو فوداني التوج».

نظرت إلى أبي لهب فإذا به يمشط لحيته بأصابعه، وترسم على محياه بسمه ساخرة، وعيناه تقولان: «يا للنساء!».

تساءلت:

«النار مقسومة بنين وبنات أم مختلطة؟».

فأجابتني حمالة الحطب:

«مختلطة يختي!!».

تلقت حولي وسألتها عن امرأة لوط فردت ساخطة:

- «بالله عجوز غابرين دي ما تجيبي لي سيرتها بي وشها البيقطع الخميرة من النار ده! من ساعة ما اتلفتت وراها وانسخت. رقبته لي يوم الليلة معوجة عاملة زي علامة الاستفهام. هديك ليها قاعدة في حافة النار تسم بدن آسيا مرت فرعون الفي الجنة وتشيل وتقول ليها: بعث راجلك بكم شجرة وخمر. شفتي الحاسدة الراصدة دي بالله؟!»

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) الأعراف

عقبت متسائلة:

- «وفرعون معنا هنا ولا في عنبر تاني؟».

قالت لي:

- «مين دخلوه النار ينقنق! كيف هو فرعون يرموهو بين العوام مع النطيحة والمتردية وما أكل السبع على حد قوله!! عايزة تشوفيهو؟ امشي طويل ولفي أول شمال بتلاقيهو مرزوع بي خلقته اللفظة بيها البحر أيام موسى».

فَأَلْيَوْمَ نُنجِيكَ بِدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً (٩٢) يونس

ومالت عليّ حمالة الحطب وهمست:

- «أنقول ليك الشمارات، نسوان النار ضمة بيحنسو امرأة العزيز توريهم ياتو زول من رجال الجنة سيدنا يوسف خاصة، والفي الجنة مدننا ضرهم. الخسيصة بتاعة السكاكين خاينة العشرة المكرت بي صاحباتها أبت كلو كلو توريهم!».

فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْتَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) يوسف

ضحكت بأعلى صوت واقترحت عليها تكوين (تجمع نساء النار)، فقالت لي:

- «بشرط أن أكون أنا رئيسته، كنتا بقدمك والله لكن ما دام أنتِ ما مشرفانا كتير قلت ما في زول بيخاف على النار وطني قدري».

فقلت لها:

- «سياسية براغماتية أنتِ يا ختي يا حمالة الحطب وكمان كفاءات».

ابتسمت هي «بالأصح قعدت تتكشم زي نار القصبه»، فنصحتها أن تُداول القيادة في النار ديمقراطيًا.

تركتها وهي تكتب برنامج التجمع النسوي الذي سيتيح لها البقاء رئيسة (خالدين فيها أبدًا). مؤكد ستلقي باقتراحي لها بالديمقراطية في أقرب صفيحة قمامة نارية.

أخذت جولة في المكان شاقة ألسن اللهب، فوجدت امرأة تضع يدها على خدها فبادرتني بتساؤل:

- «إنتِ جديدة هنا».

قلت لها:

- «أيوا باخد لفة وأمرق».

فهبت في وجهي:

- «واشمعنى أنتِ ما تأبيدة زينا؟!».

سألتها من تكون فقالت:

- «أنا زوجة نوح، فهموني غلط!».

فسألتها:

- «كيف يعني؟».

قالت لي:

- «وقت شفت السفينة قلت ليهو الـ (Finishing) بتاعها ما أوي، ما ردّ عليّ، خليتو مشيت أسوط حلتي، فتفاجأت بالطوفان. أصلهم الرجال كدا ما عندهم صبر، وحسة سمعتا تحت تحت ١٠٠انو قاعد في الجنة لا شغلة لا مشغلة، اريتو لو واصل نجارته هناك».

**صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ نُوحٍ وَامْرَأَةٌ لُوطٍ (١٠)
التحريم**

تركتهها وواصلت جولتي، فوجدته بالأسفل جالسًا يرتسم على محياه هم عميق فبادرته من مكاني بالأعلى:

- «أووووو كمرد»

- (Oyeeeeee)

- «الجابك هنا شنو؟».

فثار في وجهي مغاضبًا:

- «أنا مش حذفك من صداقتي في فيس في الدنيا؟ لاحقاني لي هنا؟! اغربي عن وجهي تَبًّا لِكِ».

غادرته وأنا أضحك وأردد الآية:

**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ
نَصِيرًا (١٤٥) النساء**

وأفقت من تأملاتي على موجة ضيق تنفس، فتركت ما أكتب جانبًا. ولمّا لم تكن الموجة الأولى والأكثر ضراوة قدّرت أن اليوم القاتل هذا قد يمضي بخير. وتفاءلت.

الموت البطيء

يوميات مريضة كورونا تشعر بالسعادة (٩)

الموت البطيء.

أحس أن الحياة تتسرب مني نقطةً نقطةً، تمامًا كما فعل كيس بلازما الدم المعلق في المستشفى وهو يدفع قطرات العلاج إلى جسدي الواهن.

العلاج المر العلقم أو الكورونا المرة العلقم.

أدركت تمامًا معنى عبارة «خياران أحلاهما مرٌّ».

ارتفعت درجة الحرارة اليوم بشكل مخيف؛ وصلت إلى الأربعين.

تعليمات الطبيب تناول مخفض الحرارة وإن لم تنزل فعليًا الاتصال بالإسعاف.

نهجان.

التنفس متقطع، لكنّ أمني في الشفاء لا ينقطع.

عرفت من طبيبي المتواصل معي بخدمة «التطبيب عن بعد» المتوفرة لمتابعة المرضى في بيوتهم أن المشكلة عدم وصول أكسجين كافٍ إلى الدم.

وهذا لو استمر يحدث تلفاً بالمخ.

كلما «شممت العافية» أمارس تدريبات التنفس التي تعلمتها في دورة التقارير التلفزيونية، وأصبحت أدرب المراسلين عليها وتساعد في تحسين الأداء الصوتي.

شهيق قوي، حبس الهواء في الصدر بقدر الإمكان وإخراجه بغتة من الفم، أضفت إلى التمرين العد وأنا أحبس الهواء في صدري. لما كنت معافاة كان بوسعي العد حتى الأربعين. مع كورونا حتى واحد وعشرين فقط.

ولكنه تمرين مهم يساعد في تمدد الرئة وضخ الأكسجين في الدم وتحسين الدورة الدموية.

كورونا تسبب تلفاً للرئة، وإن استفحلت، تنهار أعضاء الجسم واحدًا تلو الآخر، وتفشل وظائف الأعضاء وتحدث الوفاة.

في عز الضيق لم أفكر كثيرًا في الموت، كنت أفكر في الحياة كلما أحسست ببعض التحسن.

وعندما أُصاب بضيق تنفس أو إعياء، أتذكر قول المصريين:
«ياما دقت عَ الرّاس طبول».

هذا المثل والمثل الآخر «تبات نار تصبح رماد».

كانا باستمرار صديقين لي في حياتي.

«ياما دقت عَ الراس طبول» يملأني يقينًا أن الكرب الذي
أمرُّ به تكرر من قبل وتجاوزته. وتبيت نازًا وتصبح رمادًا
يجعلني أتيقن أن النار المضطربة الآن جراء أزمة أو مشكلة
ستصبح غدًا محض رماد.

باستمرار أهمس لنفسي يوميًا وأنا أضع رأسي على وسادتي:
«الصباح سيكون أحسن من هسه والظهر أحسن من
الصباح، وليل بكرة سيكون مختلف عن ليل الليلة»، ثم
أنام كطفل ينام قرير العين هانئًا.

ساعات ظللت ملقاة على سريري، أموت موتًا بطيئًا، كفت
عن أن أفكر أني وحيدة؛ الله معي، وصاحباتي القلقات عليّ،
وإخواني رفاقي.

كل ما كان يزعجني في ساعات القيد غير الاختياري أنهم
جميعًا سيكونون قلقين من اختفائي.

قست حرارتي فوجدتها ٣٨، يا فرج الله!

التنفس أفضل، تصببت عرقًا بعدها، أحسست براحة

غامرة. ذهبت إلى المطبخ وسخنت بعض الطعام.

النفس مقفلة ولكن الإرادة مفتوحة على فضاءات الأمل. أجبرت نفسي على أن أتناول طعامي كاملاً وأشرب العصير كاملاً.

أحسست يارهاق لمجرد هذا العمل البسيط، فاضطجعت على سريري.

اتصل بي الطبيب النفسي المخصص لمتابعة حالات كورونا، ثرثنا معًا وحكيت له عن الـ (Baby Blues) التي أصابتني عقب ولادة ابني، وهو اكتئاب يحدث بعد الوضع للأمهات جراء تقلبات هرمونية.

ولما ذهبت إلى الطبيب النفسي في المستشفى قال إن حالتي لا تستدعي أدوية، وكنت مصرة على جداله أنني في حاجة للدواء، فزجرني وقال لي بلهفته المحببة «يا بنتي المرضي النفسيين اللي بجد ما بيرضوش ياخدوا دوا ويكابروا، أنتِ اللي سليمة وشوية هرمونات مزعجك عايزة تاخدي دوا؟ روجي الله يسهل لك!».

أزمة واحدة في حياتي جعلتني أتوجه بقدمي قبل شهور قليلة إلى طبيب نفسي، صديق الوالد.

رحب بي ومسحني بنظراته ففهم على الفور أنني لست على ما يرام.

فحوّل الموضوع متسائلاً:

- «عايزة مواعيد تصوري معانا؟».

فقلت له:

- يا دكتور لم أحضر لك كعمي صديق الوالد ولا كإعلامية، بل مريضة.

أخذ يضحك وقال:

- «بعرفك كويس منذ صغرك، أنتِ تِمرِضي بلد، لكن عمومًا عدم تردّدك في الذهاب إلى طبيب نفسي دليل ممتاز.

لم أجارِ ضحكته.

فقال لي:

- احكي لي.

قلت له:

- «تعرف أنني لا أحكي أسراري، كل ما أعرفه أنني في أزمة ونفسياتي مش أوي، لم أتردّد في الحضور لطبيب نفسي ولن أخفي أنني أخضع لعلاج نفسي إن قررت إعطائي دواء، ما يهمني أن أكون متوازنة ولا أعبأ بنظرة بعض المجتمع الذي يخلط بين المرض النفسي والعقلي. وكلاهما ليس عيبًا ولا عارًا».

قال لي:

- «بتاكلي كويس؟».

- نعم

- «بتنومي كويس؟».

- «زي طفلة».

- «شغالة كويس؟».

- «زي الفل».

- «عندك أمل في بكرة؟».

- «طبعًا، لكن أنا لسه متأزمة نفسيًا».

- «شنو المأزمك؟».

- «قول منو المأزمك».

- «أوكي فهمت، دي بسيطة».

- «يمكن عشان أول مرة تحصل لي، متلخبطة».

- «يومك بتعملي فيهو شنو؟».

- «يوم العمل، بصحى وأتريض على شاطي البحر جارنا، وأجي أشرب حليب وأفطر مع الوليد وأوري بتي البنتساعد

سوا في البيت المطلوب شنو، وبتوريني الناقص شنو، بمشي الشغل وأستمع بالإرهاق الخلاق إعداد وإدارة نشرة الأخبار والمساء، بعد النشرة بنمرق سوا كصديقات نشرب شي في مكان، وأرجع البيت أشوف الولد عمل شنو وتونس سوا، يحيكي لي حماقاته خلال اليوم، وأقرا وأواصل متابعة أحوال السودان من النت، تلفزيوننا بايظ وأتواصل مع أمي وأبي وأختي وصديقاتي الما هنا، وأشوف مطلوب شنو من الوليد في المدرسة. في أيام الإجازة الروتين نفسه لابس بمرق وولدي نستكشف المدينة، أو بمشي الترتزي «جني ترزي».

- «أها وبتقلقي بتين؟».

(!Excuse me)-

- «يا بتنا في فرق بين القلق العادي جراء الحياة وتعقيداتها والمرض النفسي».

- «يعني ما أفدتني!».

- «زول بيقدر يدير حياته ما محتاج طبيب نفسي، ولو أحس باكتئاب ولا قلق بالعلاج السلوكي الذاتي بيتخلص منهم بسهولة. مشكلتك أنت مكرهاها لأنك ما بتعترفي غير بعقلك سيّدًا لزام نفسك، يلا برة ما تعطليني».

أفقت من ذكرياتي على تنفسي وهو يتقطع.

قلت لنفسي: «يا رثي العبي غيرها، أنا أفضل».

خاصة أن الفرق الزمني اتسع بين كل نوبة ضيق تنفس
والأخرى.

لم يتوارَ شبح الخطر بعد، ولكنني سأكون بخير.

حبوباتي، جاياكم؟

يوميات مريضة كورونا متمردة تشعر بالسعادة (١٠)

«في عز الأزمة يطيب للواحد منا تذكر غواليه، خاصة
الراجلين، حبوباتي فرضن أنفسهن على مخيلتي». سقى الله تلك الأيام.

من الصباح بتذكر في حبوباتي رحمة الله عليهنّ.
حبوبة كلتوم أم أمي وحبوبة فاطنة أم أبي أو «تاتا» كما
يناديها أحفادها.

«الحبوبات ضرا وحنان وحزم وريحتهنّ رشة أمان وطمأنينة
للنفس».

من الصباح أدمع حينًا، وأبتسم أحيانًا من طلاوة الذكرى.

كلما تذكرت حبوباتي تذكرت وصفاتهنّ البلدية، خبراتهن
اليومية في الحياة، خبراتهن لجمال الداخل والخارج،
نصائحهن لتكون حفيداتهنّ باهيات.

كان مجلس حبوبة تاتا تحت ظل شجرة الفايكس الضخمة
في منزلنا.

لا ترحه إلا لتغيير مكان النوم.

كانت تشع من صفائها صفاءً على كل المنزل.

كنت أحس أن منزلنا فيها وليست هي في منزلنا.

كنت أحس أنها منزلنا فهي (سكن وأمان).

رحلت عام ١٩٩١ كما رحلت حبوبة كلتوم بعدها بعام
١٩٩٢، وكأنهما تؤكدان ما هو مؤكد أصلاً؛ أنهما توأمان حتى
في الرحيل!

وأبدأ بأول وصفة؛ «شعرك بشرك الما عندو شعر ما عندو
بشر».

حبوبة تاتا كانت تولى للشعر أهمية قصوى.

كان جمالها لافتاً، «شعرك بشرك الما عندو شعر ما عندو
بشر».

«يا بتي جيب ليك حبيبة حنة وحبيبة موية ريدي شعرك
دا».

كان مصطلح «ريدي شعرك» يبعث على وجهي بسمة عريضة
لطرفته وجِدته، وكنت أفكر كم هي حكيمة، فالحب فعلاً

يولّد الاهتمام.

حبوبة «تاتا» كان دهن الكركار أو دهن المجموع هما اللوشنات» المفضلة لها».

«ما يخش في راسها» أي مستحضرات جاهزة، كريم أو لوشن، كانت تصنع الكركار بنفسها.

بشمع العسل وتفضله على كركار الودك أو دهن الخروف.

تأتي بشمع العسل ولا بدّ أن يكون أصفر جدًّا و«لمن تضغطيها ينز».

تضع حلة بها قليل من الماء، وعندما يغلي تضع حلة ثانية وتضع عليها شمع العسل إلى أن يسيح بتقنية «حمام الماء» هذه. وعندما يسيح تمامًا وتخلو الحلة من أي كتل شمع، تبعد الحلة عن النار وتتركها على الماء المغلي، وبسرعة تضيف زيت السمسم بعض رؤوس القرنفل، «بس شيلي من راس القرنفل القُزملة»، وهي الدائرة الصغيرة فوق رأس القرنفلة. علمتني كذلك أن أزيحها عند عمل خبيز الغريبة، فهي الجزء المُرم. وتحفظ حبوبة الخليط بعد أن يبرد في آنية زجاجية، شريطة أن تكون (يابسة) حتى لا تفسد الخلطة والوصفة. وبعدها يكون «المسوح» كل يوم عند النوم.

حبوبة كانت عاشقة للحناء، تقطف ورق الحناء المزروع بالمنزل، وتضعه في جوالات ليجف بالشمس، ثم تخزنه

بالمخزن، لا تحتفظ بكمية كبيرة من الحنة «المسحونة» بسحّان الكهرياء بل تحب الحنة «المدقوقة» يدويًا بـ«الهون»، «الفندق».

كل مرة لا تكل ولا تمل من دق الكمية التي تحتاج إليها ثم تتفرغ لعمل خلطتها العجيبة، «جيبى لي حبة سكر ونص ليمونة»، أندهش. وما للحناء والسكر والليمون؟ أندهش ولا أملك إلا أن أطيعها وأبى طلبها فأهرع بـ«حبة» السكر و«نص» الليمونة مع الماء. وتجب حبوبة عن تساؤلي الصامت:

- «السكر والليمون بيخلو الحنة تكبّس وتلقط بسراع».

حبوبة تاتا كانت أستاذة في «نجيض بليلة لوبة العدس».

كانت مزروعة بمنزلنا، ويطيب لها وهي الكبيرة السن أن تجمعها بنفسها من الشجر، وتفرز الحبات الجيدة وتستبعد غير الجيدة، ثم تغسلها، ثم تُصِرُّ على «نار المنقد» لا البوتاجاز، وتصر أنها «لسه شباب» لا تود مساعدة من «دي ولا دي». لا تطيق «البريستو»، ولكن الحلة العادية صديقتها الصدوقة، تضع في «الحلة» ماءً حتى منتصفها، وبعد أن يغلي تضع اللوبا عدس، ولا تنسى أن تضع نصف ليمونة، لـ«تمام النجاض».

-ودا سر المهنة-

-ودة روح الوصفة-

و(رشة) ملح

ولا بدّ أن تغطي الحلة (نص نص) حتى «ينجّض نَفَس-بفتح النون والفاء- البليلة».

وعند «الغرف» لا بدّ في كل «صحن» من «حبيبة موية بليلة».

حبوبة تاتا كانت طبيبة بلدية لا يشق لها غبار، وكانت أستاذة في علاج «اللّوآية» وآلام البطن المختلفة، وكان العلاج الناجع والسهل عندها حاضرًا دومًا، كباية موية ومعلقتين سكر وعصير نصف ليمونة، وملعقة كبيرة شمار أخضر، تغلي كلها مع بعض، وتصفى. وكانت لـ«تمام» الوصفة تفضّل ألا يغلي الليمون مع الماء، بل يضاف لاحقًا، بعد «ما تنزلي الموية من النار»، ويشرب دافئًا.

يداهمني الألم فيقطع عليّ سيل الذكريات.

مع حبوباتي (٢) جاياكم؟ جواركم برضه حياة

يوميات مريضة كورونا تشعر بالسعادة (١١)

انتهت نوبة الألم وتكسير الجسم والصداع القاتل.

أواصل تذكر حبوباتي.

حبوبة كلتوم أمي وأم أمي وعمة أبي، كانت حكيمة ورزينة ورائقة قليلة الكلام، وكاتمة سرٍّ من طراز فريد، لا تتدخل فيما لا يعنيها، لم أرها إلا مبتسمة، منزلها كنت أحبه أكثر من بيتنا.

في غياب والدنا كان يرعانا بابا فتحي وهو خالي وعمي، وعندما يحضر إخوتي من المدرسة الإنجيلية ويأخذونني من بحري الأميرية. كان يتحدد مصير اليوم عند وصولنا إلى طرف شارع المعونة، يتظاهر بأنه يدير المقود يسارًا، وهذا معناه أننا سنذهب إلى منزلنا، وعندما تتعالى صيحاتنا الغضوب المحتجة، فيديره يمينًا ثم نمشي المزداد بيت

حبوبة جوار مستشفى أحمد قاسم.

وهنا فقط ندرك أننا بخير، حتى الوالد لم يكن يفلت يوماً من دون زيارة عمته كلتوم أم أمي، وشرب القهوة مع خالي حسين صديقه الصدوق. ومن ثم الذهاب إلى عيادته في شارع المعونة مقابل سعد قشرة.

وكان يومياً يسلم خالي محمود إيراد العيادة، ولو طلب نقوداً منه، وكان من سوء حظه في يوم سابق لم يسلمه الإيراد، يقول له خالي محمود بصرامة:

- «تدخّل قروش تلقى قروش ما تدخّل ما بديك!».

وكان والدي ينصاع له.

حبوبة كلتوم كانت فنانة في عمل دمعة الرز، بنكهة لم أذقتها في أي دمعة رز أكلتها في حياتي، كانت تقطع البصل حلقات متساوية. لا يضاهاها فيها «أجدع» «فود بروسيا». ثم تشوحه على الزيت إلى أن يصير ذهبياً، تضيف اللحم المقطع إلى مكعبات، وقليلاً من الماء، ونص كمية التوابل، الملح. «دوا ملاح» وفلفل أسود، رشّة حبهان مطحون وكسبرة، وشوية «موية»، و«اوعي الصلصة هسه لأنها بتقسي البصلة ما بتدوب». وبعد «تدوب البصلة» نص دوبان يضاف الأرز، وبعد أن «ينجض» الرز واللحم وتدوب البصلة تماماً، تضاف بقية كمية التوابل والثوم، وتضاف الصلصة. وكان سر وصفتها «ذرات زنجبيل» مباشرة قبل ما

«تدلي الحلة من النار».

ويعلو صوتها لأبنائها:

- قِضِيت. (بكسر القاف والضاد).

حبوبة كلتوم، وشقيقتها حبوبة منازل، كانتا شهيرتين بـ(دوا الشاي)، و(دوا الشاي) هو قرفة مطحونة وغرنجال مطحون وحبهان مطحون، وشوية قرنفلات من دون قزملة. الغرنجال ود عم الزنجبيل. لكن الزنجبيل أبيض، بينما الغرنجال بني محمر. شرط نجاح دوا الشاي غلبة الغرنجال وقلة القرنفل، قبل أن تغلي «موية الشاي»، يضاف «الدوا»، وبعد أن تغلي وينزل البراد فوراً من النار يضاف «الشاي الحب»، عشان الشاي ما يكرر.

حبوبة كلتوم كانت تعتبر الحلبة «ست الأدوية»، وكانت تردد تلك المقولة دومًا، وكانت الأدوية البلدية تغنيها عن الذهاب إلى الطبيب، وكانت بمهارة تحدد الدواء مشخصة. وتحقق قيمة المقولة «اسأل مجربًا»، الحلبة كانت لها ثلاث طرق علاجية:

إما بغلي اللبن الحليب، وإضافة الحلبة الحب له، ثم شربه محليًا.

وإما بغلي الحلبة الحب مع الماء، وتحلية المشروب.

وإما سفوف أي مقدار من الحلبة الحب يتلغ بقليل من

الماء.

مرة أخرى أرهقتني الذكريات على الرغم من حلاوتها
والكتابة.

حبوباتي، تعالني ولا أجيكم؟ (٣)

يوم التحاليل الفيصلي *

يوميات مريضة كورونا متمردة تشعر بالسعادة (١٢)

اليوم فيصلي في حياتي. أنحّي شبح الموت جانبًا، المساء موعّد التحاليل التي تحدد مسار العلاج واستجابة جسمي لعلاج بلازما النقاهاة.

أصرع قلق الانتظار بالكتابة، ودفقات الأمل أتففسها مع الأكسجين الضئيل الذي أعبئ به رئتيّ، أحس بالوهن والخوار الجسدي لا النفسي، عقلي متقد وذاكرتي حاضرة، ولم يحدث لي من جملة المضاعفات التي حصلت من الدواء والتي توقعها سلفًا الطبيب، لم يحدث لي تشويش الذهن.

- «راكبة راس»

منذ حدائتي كنت أدرب نفسي تدريبات ذهنية تحسن الذاكرة

والتركيز، وكنت حريصة طوال عمري على صحتي، وعلى احتواء غذائي على خضراوات وفواكه طازجة وهذا بعض فضل والدي ورعايتها لنا وما تعلمناه منها، وتناول مكملات غذائية وفيتامينات وهذا بعض فضل والدي ورعايته لنا، وخاصة كبسولات زيت زهرة الربيع أو زهرة المساء. (Evening Prime-rose oil)

وكبسولات زيت كبد الحوت (Cod-liver oil)

لذلك كانت مناعتي قوية ولا أمرض كثيراً، ولما كان طبيبي يقول لي المناعة والروح المعنوية العالية هما وصفة سحرية للشفاء من كورونا، كنت كثيراً ما أطرد القلق وأعتبر آلام العلاج وآثار كورونا وأوجاعها «بندق في بحر».

مناعتي قوية وإرادتي أقوى وروحي المعنوية عالية، اليوم لن يحدث إلا المتوقع فعلام القلق؟

إما استجابة جسمي للعلاج والشفاء أسرع من مرضى الكورونا الذين لم يتلقوا علاج البلازما، وإما عدم استجابة جسمي للعلاج ومعاناة أفتح من معاناة مرضى الكورونا الذين لم يتلقوا علاج البلازما.

«بسيطة مش؟» قلتها لنفسي وأنا أبتسم.

وواصل سيل ذكريات حبوباتي الانسياب الموسيقي العذب لنفسي وأفكاري.

حبوبة مياسة لم أحدثكم عنها، هي والدة عمي الصغير شقيق والدي، و«في الحسبة» هي خالتي وعمتي، حبوبة مياسة كانت تقطن معنا في المنزل نفسه إلى أن قررت أن ترجع البلد، وما زالت في الإجازات معنا.

ذات إجازة رجعت من مصر فوجدت في المخزن الملحق بالمطبخ «فرن بلدي»، صنعته حبوبة مياسة بنفسها من الطين و«كُسار» «صحانة الصيني القدام».

كنا نأكل منه الخبز الطازج يوميًا، إضافة إلى «الشريق» أو «القرقوش» تخبزهما بنفسها، والكعك والمنين، كانت بـ«حرفية» تغريل الدقيق، بحرفية تضيف الماء من دون مقادير «ما زيكن يا بنات الزمن دا». ثم تضيف رشة خميرة وبيكنج باودر ورشة ملح، ورشتين سكر، و«دا سر المهنة»، و«رشة سمس» ودا سر الوصفة. وتقطع العجين إلى أقراص، تخبزها في الفرن، و«يمسخ علينا تاني عيش الأقران الأكية». حبوبة مياسة فنانة في عمل «الشريق».

«بسرعة قياسية، ومن دون استخدام أي مقادير، تجيب الدقيق والسكر وحبّة لبن، وخميرة لبن بتعمله بنفسها منزليًا، وحبّة زيت، ورشة ملح، وحبّة موية، وبسرعة تعجن، وبسرعة قياسية تقطع العجينة لمستطيلات وترصها في صوانٍ، وتخبزها في الفرن، وكل ما أسألها «بيكون كيفن لونو موحد الشريق دا؟».

تجيبني باسمه:

- «دا سر الوصفة».

استرقت النظر إليها مرة دون أن تدري، لأعرف سر لون الشريق الموحد، فوجدتها تنقص الفحم المشتعل وتقلب الشريق باستمرار.

حبوبة مياسة عندها «شريات عينة»، بتعرفو براها، كانت وما زالت «لمن نزهج» من أي عصير جاهز.

تأتي بمقدار من «بدرة القنقليز» وهي متأفة لعدم توفر قنقليز طازج «تبلو وتموصو»، وتضيف إليها ملعقتين كستر فانيليا، وعلبة أناس معلب، وتضربهم في الخلاط، و«ما تدي الجنبك»، من «لذة» العصير.

أما حبوبة نعمات، زوجة عم والدي وخال والدي في آن، وخالتي وعمتي في الوقت نفسه، رحمة الله عليها.

كانت نور الأسرة وما زالت بركتنا حتى وهي غائبة، ونور «ود نوباوي» بأسرها، فتؤمن أن البيت الحاوي للشيخ، و«الحزا» و«المحريب» و«الحرجل» «ما بيحي لي ناسو شي»، وتؤمن بالأدوية البلدية كعلاجات.

هديتها لي دوّمًا أرتال من تلك الأعشاب الدوائية، مقرونة

بدعوتها الصادقة التي نؤمن كلنا أنه لولاها لما تقدمنا شبرًا
في ديانا هذه.

لو كانت موجودة كانت ستبدل قلقها العامر عليّ وأنا
مريضة بالصلاة والدعاء. « دعواتك واصلاي يمة».
تعبيبيتا لكن هانت.

شيب وتجاعيد؟ سجم خشمك!

يوميات مريضة كورونا تشعر بالسعادة (١٣)

قبل التحاليل والفحوصات المحددة لمصيري، نظرت إلى
المرأة، مرآتنا لإعلاميات كاميرا الموبايل، بسم الله الرحمن
الرحيم نحونا لا علينا.

هالات سوداء حول العيون تمامًا كعيون دب الباندا، سجم
خشمي! لمحت تجعيدات حول العيون!

«أها دا الكلام الما بينفع، الوش زي نيلة الطرقة».

«كُز كُز كر كر».

شيبات في الشعر!

«اوي اوي ديل شيبات البخت!».

لقيت أكثرهن في الشمال و«بتاعات البخت مفروض في
اليمين».

اقتعلتهن بغلّ وثبتهن بينسة في الشق الأيمن من رأسي،
الشعر تفة من أمس ما اتسرح، ومن يوم رقدت بغسلو
بالشامبو الجاف، بس مافيهو رغوّة ياخ، سغيل سغالة.
بحس بيهو «ملسلس» زي أولاد العز البيحاولو يلفتو نظر
البنات.

بس على كل حال ما «معتت» زي ضمير الكيزان.

«انتھيت يا بت».

«مرة طيب لبناني عمل لي عملية، وجيت مراجعة بعد
أسبوعين لاستبدال غيار الجرح».

«لقي الجرح ماشي كويس في الالتئام، دي أصلو ما كانت
قضيته، كانت قضيته الجرح ما يترك أثر بعد الالتئام».

«شو ها الحظ!! خدي من الصيدلية اللي بره ها الدواء، ما
بيخلي للجرح أثر».

قلت الراجل دا فاهمني.

ابتسمت للمرايا قصدي كاميرا الهاتف، اقترحت على نفسي
ألا أبتسم ثانية، حسيت وشي «جضوم بانين حولها وش».

«هسه أقابل الأمم الراقية الحيجو ياخدو لي التحاليل
كيف!!».

ما بحب المكياج، لما أنكحل بحس إني بفتح عيني وبقفلهم
بصعوبة زي الجفون فيهم مغناطيس نصف فَعَّال يتَّقَل
الفتح والإغلاق.

أما أحمر الشلايف فما حبابو..

خصوصا البيحدوهو بقلم أسود.

والفاونديشن الفاونديشن..

«وكت تجلبطو لي الماكيرة لضرورات تصوير بكون عايضة
بتين القصة تنتهي وأمشي أغسله، وهسه الحل؟!».

«الشيب مقدور عليه».

«جلبطت الشعر بداكس».

الشعرات البيضا جبت ورنيش.

أي والله ورنيش اتحلت مشكلتهم.

تجاعيد العيون هينة.

سأظل مبتسمة لغاية الآخر زي الهبلة الجو يخطبوها أول
مرة وهي ما مصدقة.

وأنكشّم زي نار القصة.

نسيت كورونا والبلازما وأخذت أضحك من قلبي، وأنا أتأمل

الجريمة التي اقترفتها في شعري.

بعد دقائق التحليل والفحوصات روعي المعنوية مرتفعة.

كورونا تشيلسي وريال مدريد

يوميات مريضة كورونا تشعر بالسعادة (١٤)

تشيلساوية مدريدية أنا.

بينما أنتظر نتائج التحاليل، تحترم مباراة الأفكار برأسي، تارة يتوحد فريقاي المفضلان تشيلسي وريال مدريد في مواجهة (كرونلونة). وتارة يلعبان ضد بعضهما بعضاً بداخل رأسي، نصف رأسي ملعب ستانفورد بريدج، نصفه الثاني ملعب سانتياغو برنابيو.

تشيلسي في رأسي أعقل من ريال مدريد على الرغم من أن المديردي مولود قبل تشيلسي بثلاثة سنوات وكلاهما مواليد مارس ١٩٠٥/١٩٠٢.

أعتمد خطة تشيلسي في مقاومتي لكورونا وقلقي.

٣-٤-٣ هجوم بحث.

أبتسم وأكرر لنفسي أنني سأحقق ثمانية عشر فوزًا كما
فعل مدرب تشيلسي باعتماده على هذه الخطة وأفوز
بالدوري الممتاز في مصرع كورونا.

المديدي في رأسي ٣-٣-٤

لا يا زيدان يا حي!

دي خطة بتاعت مفاجآت في الملعب ما بغامر.

أنت باستمرار تغامر باللعب الفردي المتكل على الفروق
الفردية للاعبين وتوظيف مهاراتهم في الملعب، وأنا زولة
تيم وورك.

جهاز المناعة بتاعي فيهو كم لاعب متمرد ما بتنفع معاهو
خطتك دي.

تشيلسي يفوز تشيلسي يفوز.

لامبارد يا حي.

أنتظر نتيجة التحليل والفحوصات، أكدوا أنها ستظهر
اليوم متأخرًا أو غدًا صباحًا.

يتحد الفريقان في رأسي في خطة هجومية محكمة. اتفقنا ألا
ينفرد لاعب بالكرة مصرًا على تحقيق هدف وحده. عليهم
أن يقرؤوا الملعب ككل، ويعطوا الكرة للأفضل موقعًا، وما
في داعي لبهتان الخصم والتظاهر بالإصابة.

حركات اللعبة نص كم! اللاعب رب رب رب يقع في الملعب
زي الضربو شيطان

ويكون زول ما جا جنبو.

أها الفريق الفايز حركة تضيع الوقت وتميرير الكورة لبعض
ما حبابها.

لامن يوم تلاقو حكم يطبق التحكيم كفقهاء النص غير
المجتهدين يقوم بسخاء يديكم كروت صفراء، ووكت
الضربة الحرة المباشرة ما تخلو اللعيب الأروش داك يلعبها.
وحات الله يشوت كبك في العارضة ويحيركم.

ما في داعي للشعر المسبب للاعب.

بحس بيهو بيغطي عيونه ما بيخليه يكشف الملعب كويس.

في الكورة العربية حركة اللعبة يسجدوا في المباراة خصوصًا
عند تسجيل هدف أو يرتدوا فانيلات فيها رموز دينية ما
بطبقها.

دا تعصب والكرة مفروض تحمي اللاعب من داء التعصب.

على سيرة الكورة، ما عجبتي قصة كرة القدم النسائية،
التمكين للمرأة مرات بحس إنه يتم اختزاله في حاجات
قشرية. يتم التغاضي عن الأهم وهو العدالة والمساواة
في الحقوق والواجبات، الفكرة دي خطرت لي أيام الزوبعة

حول طاقم التحكيم النسائي لمباراة الأمير والزومة في افتتاح
مباريات كأس السودان.

كدا خلاص المرأة تحررت؟!!

زي البيختذلو حرية المرأة في محاكاة الرجل شكلياً.

بينما الحرية تحرر فكري ومفاهيمي ووعي ومسؤولية، لا
محاكاة عبيطة ومبتسرة.

نرجع لكرونتنا.

عمومًا قبل موسم فك التسجيلات الصيفي حأفك تسجيل
كورونا تمشي بعيد بعيد.

ليالي الغربة وصديقاتي الراحلات

يوميات مريضة كورونا تشعر بالسعادة (١٥)

مساء الخير عليكِ يا حنو، لعل ضمة القبر حنينة عليكِ
حبيبتنا.

كأن حنان عبد الرحمن الأمين ماتت الآن. يا الله قوة وصبرًا.
روحك حاساها بتزفر حولي، وبما آتيك لأجذك أنت
وتمودة اعتماد بتشرين قهوة في الجنة

فتيني ويبيين يا حبيبة

كان في مشاوير مفروض نمشيها سوا ومتفقات نمشيها سوا،
وما عودتيني تخلفي وعدك يا بت.

أشعر بحنين حارق ليك ولتمودة وكل المشينا سوا في دروب
نضرة وحقانية ونضيفة للوطن.

أشعر بحنين حارق للوطن بيك: أرضه وسماؤه، أكواز

الصلصة المجدعة في الشوارع، شكلة بين اتنين طيبين ما
بيعرفو يتشاكلوا كويس، كيما الخضار المكومة في جروف
أب روف، بكاية شاي في دار الأمة من الحاجات الفي الحوش
فارشات، بكية في قبة المهدي الإمام، مقيل جنب الطايبة.
مرور ببوابة عبد القيوم. قطعة النيل للخرطوم ولأم در،
حوش مقشوش وعلامات المقشاشة ظاهرة فيهو ومرشوش
بي خرطوش، ونسة حلوة أسمعها وأنا مدممة بي توب قربتا
أنوم الونسة تجيني من بعيد من خالاتي وعماتي القاعدات
قراب، فجأة الباب يدق وواحدة من صاحباتي الكتار تجي
خاشة.. دي منو؟ دي حنان ممرقاني مشوار، مشتية شاي
عصر في بيت جيراننا. مرقة للأهل في المساء، وطني أحلى.

حاجة في حياتي رينا يحفظو تامي وسالم، وطني حزين لأنه
أصبح وأمسي وما فيهو حنو، حنوتنا، حنان عبد الرحمن
الأمين، يا الله الصبر.

تذكرتك وأنا على فراش المرض القاسي.

فتذكرت النابغة الذبياني وهو يصف ليلة ليلاء

فبْتُ كَأَنَّ العائِدَاتِ فرُشْنَ لي

هَرَأَسًا به يُعَلَى فراشي وَيُقَشِب

ترى أساموت غريبًا أم أكون محظوظة مثلك يا حنان وما
زال في العمر متسع لأموت في بلدي؟

قطية بلدي

يوميات مريضة كورونا تشعر بالسعادة (١٦)

وأنا أنتظر مصيري تذكرت القطاطي التي أعشق. قطية في
بلدي، قطية في وطني ولا قصر في غربة.
القطية••الاختراع العبقري للغبش ملح الأرض.
القطية••(رحم المحنة).
والتعايش بسعادة ووثام من البيئة ومع البيئة.
السودان كتاحة وأمراض ومعاناة بل شقاء.
لكنه في النهاية وطننا.
سماؤه ملكنا.
نيله شرابنا.
أرضه لا يملك مخلوق حق زحزحتنا منها.

حبوية كانت بتقول بلدي شام.

وفعلًا بلدي شام بل أجمل من أي مكان.

بي ملاريتها.

بي غباشتها.

بي فقرها.

بي المعاناة.

والتلتة.

الغربة سراب بقيعة يحسبه الظمان ماء.

مهما حققت في الغربة يبقى بداخل نفسك شيء من حتى
تصور كيف يكون الحال، لو ما كنت سوداني رديني إلى بلادي،
مع نسائم الغوادي.

من منا لم يشعر مرارًا وتكرارًا بأن أهم أمنية له أن تنتهي
غربته ويرجع للوطن الحبيب؟

من منا لم يشعر مرارًا وتكرارًا بمزيج الحنين والشجن عند
تذكره لأحباب هم قطعة من قلبه وهو مزعة من سويداء
فؤادهم؟

من منا لم يتسم عند تذكر أشياء كانت تضايقه ساعتها

فأضحت الآن أقصى آماله أن يتكرر حدوثها: رخات مطر
أيقظته في عز الليل بعد نومة مريحة في الطراوة والهمبريب،
كتاحة، طين لزوج مثلاً؟

ومن منا لم يتذكر لحظتها الجروف والنيلين وام در
والطايبة، البيوت القديمة، رائحة التاريخ، أريج الماضي،
الناس الطيبين هنا وهناك، محمد أحمد الصابر المتوكل.
حبوبة، ضل الشتا؟

سنرجع يوماً إلى حيننا

ونغرق في دافئات المني

سنرجع مهما يطول الزمان

وتنأى المسافات ما بيننا

حقاً بلدي شام

عيون أم در، ود نوباوي

يوميات مريضة كورونا تشعر بالسعادة (١٧)

عيون أم در، ود نوباوي

تذكرت وأنا قعيدة الكورونا أم در.

وهل نسيت أم در لأتذكرها؟

تساءلت وبي غصة: هل سألثم ترابها ثانية؟

فيض محموم من الذكريات يكتنفي.

وقع الخطوات الجميلة من وإلى ودنوباوي.

السلام يا المهدي الإمام

السلام يا وطني السلام

كم أتوق للثمة على جبين ترابك

لشربة من نيلك

لجولة في شوارعك الحفية

كتاحة أصحو من النوم لأجدي مرسومة بترابها على المرتبة.

كم أتوق لوجوه الغبش

لابتساماتهم القانعة على الرغم من سوء الحال.

لنسمة عصرية مرت على حوش مرشوش ومقشوش.

لريحة دعاش حاملة للقال والخير.

كم أتوق للبرق العبادي!

لمغرب مع كباية شاي تحكي أسطورة المحنة!

كم أتوق لوجوه أصدقائي المتمرسين بداخلك وطني!

يحبونك أكثر مما يحبون أنفسهم.

كم أتوق لحبات عرق الكد ترسم خريطة على جباههم..

كم أتوق للمعان عيونهم الطيبة..

كم أتوق لفاتحة في الضريح الفاح طيبه عابق..

لبكية هناك كنت وعدت بها نفسي كلما مضغت الغربة

مرارة ورهق وصبرت.

كم أتوق لمشهد أبي مستعجلاً يريد أن يوصل أقمشة العلي
الله لصديق..

لتأتي معجونه برحيق أم در.

كم أتوق لخبطة على الباب

يطل بعدها وجه أميرنا أبو

بعد رياضته الصباحية..

يتفقدنا بطيبة وسماحة الدنيا

كم أتوق لجبنة الخالات في دار الأمة

كم أتوق وكم أتوق وكم أتوق

أوجعي الشوق..

يا الله..

نهاية الفصل، لا، بل البداية.

يوميّات مريضة كورونا تشعر بالسعادة (١٨)

«لحقوك ولا جوك جوك»

مَثُلُ عامي أدركت معناه حرفياً وأنا في انتظار نتيجة التحليل.

حاولت أن أقنع نفسي أن الأمر جد بسيط.

«يحصل شنو يعني؟».

يحصل كثير.

حاولت أيضاً أن أتجلد

وأن أكون ذات تفكير تحفُّه البهجة.

مرة أفلح ومرات أفشل.

فكرت فيما يمكن أن يحدث، تخيلت دنيا من هم حولي

من بعدي.

هذا ما يسمى بسخرية الأقدار، قدر ما تخيلت نهايتي
لم أتخيلها بسبب فيروس متناهي الصغر، متناهي الشدة
والفتك.

كورونا نلوك اسمها وكأننا نستعيد بالله من الشيطان
الرجيم.

غيرت العالم وقلبته رأسًا على عقب، وجعلت أسئلة كثيرة
تتطاير لنظريات أكثر.

أهو حرم جرثومية؟

سلاح بيولوجي؟

مؤامرة كونية؟

خيانة علمية؟

إعادة لتوزيع ديموغرافية العالم بعد أن جارت كرتنا الأرضية
بالشكوى وفغر ثقب الأوزون فاه ليلتهم ما تبقى من حرصنا
وإنسانيتنا ومحبتنا لأرضنا.

دائمًا أفكر أن في قلب كل محبة منحة.

النتيجة نجاتيف.

أفقت على صوت الممرضة وهي تصرخ قبالي بأعلى صوت
لها وهي تلوح بورق لم أهتم بمعرفة ما فيه.

ماذا؟؟

سألتها، فصرخت ثانية:

- نيجاتيف مدام! نيجاتيف!

أحسست فعليًا أن خلايا جسدي تجددت في هذه اللحظة
الفيصلية.

أحسست أن قلبي أصبح أكثر ضئًا لدم السعادة.

ضربات كادت تصم أذني.

قلت لنفسي ضاحكة «نجيت من كورونا ما تموتي لينا بأزمة
قلبية».

السعادة والتعاسة بينهما شعرة رقيقة.

تعلمت من كورونا أن المشكلات التي كنا نخالها ضخمة ما
هي إلا مشكلات واهية.

فالتبيعة مشكلاتها أقسى، لا يمكن التحكم فيها.

ظل الإنسان عاجزًا تجاهها كما عاجز أمام فيروس
ميكروسكوبي.

والإنسان ضعيف؛ ضعيف مهما كان يعتقد نفسه غير ذلك..

وأن الحذر لا يمنع القدر.

تجربة كورونا أرثني أن أعيش حياتي يومًا بيوم.
وأن أسعد حتى منتهى السعادة.
وألا أفكر كثيرًا فيما لا أملك حياله شيئًا.
كورونا تعلم حب الدنيا وتعلم حب النفس غير الأناني.
أحسست أنني «لنا جديدة» وأن بوسعي كثيرًا لإنجازه.
وبينما الطبيب والممرضة يتناقشان في أمور تخصني لم أعد
أعبأ بها.
فتحت نافذة الغرفة وصرخت بأعلى صوتي:
- بحبك يا دنيا.

- حبوباتي، تعالني ولا أجيكم؟ (٣) يوم التحاليل الفيصلي
٧٧
- شيب وتجايد؟ سجم خشمك!
٨٣
- كورونا تشيلسي وريال مدريد
٨٧
- ليالي الغربة وصديقاتي الراحلات
٩١
- قطية بلدي
٩٣
- عيون أم در، ود نوباوي
٩٧
- نهاية الفصل، لا، بل البداية.
١٠١

Willows House
منشورات
ويلوز هاوس

